



الإعلام والإرهاب .. على خط المواجهة

د. سامي الشريف*

مقدمة:

لقد أصبح الإرهاب بكافة أشكاله ظاهرة عالمية تخطت أخطارها كل الحدود، وأدركت كل دول العالم وشعوبه حتمية تنسيق الجهود لمحاصرته والتصدي له.

وفي كل المحاولات المحلية والإقليمية والدولية التي سعت لوضع خطط واستراتيجيات لمكافحة الإرهاب كان "الإعلام" حاضرًا علي الدوام بوصفه أحد أهم الوسائل التي يمكن -إذا ما أحسن توظيفها- أن تكون أدوات فاعلة للتصدي للإرهاب والقضاء عليه.

ولقد برزت أهمية دور الإعلام بوصفه محددًا هامًا لتفاهة الظاهرة الإرهابية، وفي الوقت ذاته وسيلة هامة للقضاء عليها، ولطالما اتهمت وسائل الإعلام بتوفير بيئة خصبة لإنتاج وصناعة الإرهاب بما تنتشره وتروج له من قيم وأفكار متطرفة، كما أنها كثيرًا ما تكون منابر يخاطب - من خلالها - الإرهابيون كل شعوب العالم مدافعين عن وجهات نظرهم ومبررين أعمالهم الإرهابية وداعين لمزيد من الدعم والتأييد.

ويبدو أن التطورات المتلاحقة التي شهدتها العالم بثورتي الاتصال وتكنولوجيا المعلومات قد وفرت فرصًا غير مسبوقة للإرهاب كي يبيث رسائله وأفكاره عبر الحدود دون عوائق أو قيود.

وفي ظل تكنولوجيا الاتصال اكتسب الإرهاب زخمًا واسعًا بسبب ما أتاحه له الإعلام من ذبوع وانتشار، ولطالما كانت العلاقة بين الإرهاب والإعلام مثار جدل وخلاف، هل هي علاقة دعم أم علاقة مواجهة؟!.

وإيمانًا بالدور المهم الذي يضطلع به الإعلام في مكافحة الإرهاب تعرض هذه الورقة لحدود العلاقة بين الإرهاب والإعلام في محاولة للوقوف على ملامح استراتيجية إعلامية للتصدي للإرهاب وتفنيد مزاعمه... والله من وراء القصد .

* عميد كلية الإعلام بالجامعة الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات.



لقد أصبح "الإرهاب" ظاهرة عالمية لا تقتصر على دولة أو منطقة بعينها، وأكدت الأحداث التي شهدتها العالم في السنوات الأخيرة أنه ليس ثمة دولة أو شعب بمعزل عن جحيم الإرهاب وأخطاره. والإرهاب ليس ظاهرة جديدة أو طارئة، فعلى مدى تاريخه الطويل شهد العالم أشكالاً عدة من الإرهاب الفردي والجماعي العشوائي والمنظم، واكتوت بنيرانه كل شعوب الأرض. وإذا كانت الآلة الإعلامية الأميركية قد نجحت بدهاء خارق في إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين في أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، وما تبعها من تداعيات سمت الأجواء في العلاقات بين الإسلام والغرب، فإن الدراسات لتاريخ الغرب يلمس بوضوح ما وقع فيه من أعمال ارهابية راح ضحيتها الملايين من الأبرياء، ودُمرت بسببها دول وحضارات بدءاً بمحاكم التفتيش ومروراً بالحروب الصليبية وحروب الإبادة الجماعية وانتهاءً بالمواقف الغربية المساندة لقوى الاحتلال والتدخل العسكري في فلسطين والعراق وسوريا وأفغانستان وسياسة الكيل بمكيالين في قضايا الصراع الدولي والعنف والإرهاب.

إن هذه الأحداث تجعلنا ندرك أن الدول الغربية هي الأولى بوصف "الإرهاب" كونها الصانعة والمساندة له وليس العرب والمسلمين.

ورغم أن الإرهاب ظاهرة عالمية لازمت المجتمع الدولي، ورغم اتفاق مختلف الدول والشعوب على إدانة الإرهاب ونبذته والحرص على مكافحته، فقد ثار جدل طويل حول تحديد مفهوم الإرهاب بشكل دقيق.

ولعل ذلك راجع إلى حرص كل طرف على تعريف الإرهاب من وجهة نظره، وبما يحقق أهدافه، وعلى مدى سنوات طويلة فشلت الأمم المتحدة بهيئاتها ولجانها المختلفة في وضع تعريف شامل ومقبول للإرهاب.

وقد جاء هذا الفشل تارة بسبب محاولات "تسييس" المصطلح وتارة بسبب الخلط بين مفهوم الإرهاب، ومفاهيم المقاومة المشروعة والكفاح المسلح ضد قوى الاحتلال. ولسنا بصدد التعرض لتلك الاختلافات في تعريف ظاهرة الإرهاب وأسبابها.

ويمكننا تبني المفهوم الذى طرحته الاستراتيجية الأمنية العربية لمكافحة الإرهاب، والاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب والتطرف؛ حيث عرفنا الإرهاب بأنه (كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيًا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس وترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد



المرافق والأماكن العامة والخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر).

وتتطلب مكافحة الإرهاب دراسة الظاهرة من كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية .. وهو أمر صعب ومعقد يفسر لنا قصور وضعف كل المحاولات والجهود التي بُذلت على المستويين المحلي والدولي لتطويق ظاهرة الإرهاب والحد من أخطارها.

الإعلام .. والإرهاب الفكري:

في كل الاستراتيجيات والخطط التي أعدتها الدول والمنظمات الإقليمية والدولية لمكافحة الإرهاب، يبرز الإعلام كواحد من أهم وأقوى الوسائل التي ترتبط بظاهرة الإرهاب؛ ففي حين اعتبرها البعض وسيلة هامة ومؤثرة في مكافحة الإرهاب وكشف أساليبه وحشد الرأي العام ضد الجماعات الإرهابية، اعتبرها آخرون أحد أهم وسائل دعم الإرهابيين وتبرير أفعالهم، كما اتهمها الكثيرون بممارسة الإرهاب الفكري.

ويعد الإرهاب الفكري أخطر أنواع الإرهاب وأكثرها خطورة، فهو يسعى لتجميد العقل وقتل الحريات وتكليم الأفواه ومصادرة حريات الآخرين في الإبداع والتفكير وحق الاختلاف.

وإذا كان " الإرهاب الفكري " مرضاً تعاني منه مختلف المجتمعات - بدرجات متفاوتة - فإن انتشاره يزداد في المجتمعات الديكتاتورية المغلقة ذات الثقافة الشمولية.

ففي هذه المجتمعات تسعى السلطات المسيطرة إلى فرض وتدعيم نفوذها ونشر أفكارها من خلال كبت الحريات ومصادرتها، والواقع أن "الإرهاب الفكري" الذي يأخذ أشكالاً وصوراً متعددة هو واحد من أهم البنى التحتية للإرهاب.

إن الإرهاب الفكري هو الخطر الحقيقي علي الشعوب، فمواجهة الإرهاب الدموي الذي يلجأ إلى القتل والعنف والترويع وحمل السلاح أسهل بكثير من محاولات نزع فكرة متخلفة من عقل إنسان.

إن خطر الفكرة المتخلفة أشد قوة وتأثيراً من خطر الرصاصة؛ فالرصاصة قد تصيب إنساناً، لكن الفكرة المتخلفة قد تهدد كيان أمة بالكامل، وكما أدركت الحكومات - على مر التاريخ - أهمية وسائل الإعلام وسعت إلى امتلاكها والسيطرة عليها أو ترويضها على أقل تقدير، فقد أدركت الجماعات الإرهابية أهمية وسائل الإعلام بوصفها الأداة التي يمكن استغلالها في نشر أفكارها والترويج لها.



وبدا الصراع بين قوى الخير وقوى الشر على امتلاك وسائل الإعلام وبسط النفوذ عليها قدرًا محتومًا عضد من قوته هذا التطور السريع وغير المسبوق لوسائل الاتصال والمعلومات الذي شهده العالم في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، وتضاعفت قوته بحلول القرن الجديد.

فوسائل الإعلام هي القوة الفاعلة والمؤثرة في المواجهة بين الحكومات والجماعات الإرهابية، إلا أن هذه القوة قد تستخدم في تعزيز جهود الحكومات في مواجهة الإرهاب، وقد تستخدم في دعم الإرهابيين وتمكينهم.

وفي وصف العلاقة بين الإرهاب والإعلام قالت المرأة الحديدية، مارجريت تاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا، إن عمليات الإعلام والإعلان والذبوع الذي تنتشره وسائل الإعلام حول الأعمال الإرهابية هي الأوكسجين اللازم للإرهاب والذي لا يستطيع الاستغناء عنه.

كما ذهب الكثيرون إلى المبالغة في وصف تلك العلاقة بين الإرهاب والإعلام، فيشير Walter Laqueur - إلى أن الإعلامي هو أفضل صديق للإرهابي.

كما يرى آخرون أن العمل الإرهابي ليس شيئاً في حد ذاته، بل إن الإعلام عنه هو كل شيء!!.. ويمكننا تفسير تلك العلاقة بالقول إن الإرهاب والإعلام متلازمان يركض كل منهما وراء الآخر، فوسائل الإعلام تسعى إلى تحقيق سبق الإعلامي، وفي سبيل ذلك فإنها تركز وراء الأخبار والمعلومات المثيرة والتي تمثل الأعمال الإرهابية ذروتها، كما أن المنظمات والجماعات الإرهابية تسعى للوصول إلى وسائل الإعلام لإبصال رسالتها ونشر أفكارها وبث الرعب والخوف في نفوس خصومها. وتظل العلاقة بين الإرهاب والإعلام علاقة شديدة التعقيد بالنظر إلى تعدد أبعادها، وغموض أسبابها ودوافعها.

إن التغطية الإعلامية لأنشطة الجماعات الإرهابية ولجهود الدول والحكومات لتقويضها والقضاء عليها كانت ولا تزال محل خلاف وجدل كبيرين، وتظل الجماعات الإرهابية والحكومات والجمهور هي الأطراف الرئيسية في تفسير العلاقة بين الإرهاب والإعلام .. ولكي نستطيع سبر أغوار الأدوار الفاعلة التي يمكن للإعلام أن يقوم بها في سبيل مكافحة الإرهاب علينا أن نحلل دور كل طرف في توظيف وسائل الإعلام لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه.

ويكون ذلك من خلال تحليل نوعية العلاقة بين كل طرف من تلك الأطراف بوسائل الإعلام:



أولاً : الجماعات الإرهابية ووسائل الإعلام:

لقد اهتمت الجماعات الإرهابية - منذ وقت طويل - بتوظيف الإعلام لخدمة أغراضها وتحقيق أهدافها، وعلى مدى التاريخ وظفت النظم الديكتاتورية والراديكالية ووسائل الإعلام واحتكرتها وطوعتها لتبرير أخطائها والدفاع عن مواقفها؛ فكما اهتم الزعيم النازي هتلر بوسائل الإعلام، واستحدث وظيفة "وزير الإعلام" لبيسط نفوذه على تلك الوسائل بوصفها أفضل الوسائل لتحقيق طموحاته لإخضاع أوروبا والعالم لسيطرته، اهتم جميع الزعماء الديكتاتوريين بالسيطرة على وسائل الإعلام وتوجيهها.

وعلى نفس النهج سار الإرهابيون - في كل مكان - حين أدركوا أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام للدفاع عن أفكارهم وتبرير أفعالهم اللامشروعة.

ففي عام ١٩٨٨ أنشأ زعيم القاعدة أسامة بن لادن (إدارة إعلام القاعدة) كجزء رئيس من الهيكل التنظيمي، وقد ركزت تلك الإدارة - في بداياتها - على الاحتفاء بالمجاهدين المسلمين في أفغانستان الذين كانوا يحاربون السوفييت، وبعد انسحاب القوات الروسية ووجهت إدارة الإعلام في القاعدة بوصلتها صوب الولايات المتحدة وإسرائيل - اللتين كانتا القوة الداعمة لتنظيم القاعدة منذ نشأته - ثم وجهت الإدارة سهامها نحو بعض الأنظمة العربية المناوئة لها، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

وقد أشار مؤلفا كتاب-Global Terrorism and New Media- إلى شغف التنظيمات الإرهابية بالإعلام وسعيها الدؤوب لتوثيق علاقتها بوسائل الإعلام المحلية والعالمية، وذكرنا بعض الأمثلة لبعض وسائل الإعلام التي استخدمها تنظيم القاعدة، ومنها مؤسسة سحاب للإنتاج الإعلامي، والجهة الإعلامية الإسلامية العالمية، وشركة الكتاب الخاصة بحركات شباب المجاهدين في الصومال والتي أنشئت عام ٢٠٠٩.

كما دشّن تنظيم القاعدة موقع (النداء) على شبكة الانترنت في أوائل عام ٢٠٠٢ لبيت أفكاره وترويج مبادئه، وتوجد عشرات الآلاف من المواقع الالكترونية التابعة للجماعات الإرهابية في مختلف دول العالم، والتي تتزايد أعدادها مع التطورات التكنولوجية المتسارعة لشبكة الانترنت. وتعد شبكة الانترنت واحدة من أهم أدوات القوة الناعمة التي نجحت الجماعات الإرهابية في توظيفها لخدمة أغراضها.

وإذا كان امتلاك الجماعات والتنظيمات الإرهابية لوسائل إعلام خاصة بها يعد أمراً مشروعاً في ظل صراعها مع الدول والشعوب المختلفة، فإن ما يثير الريبة هو أساليب تعامل تلك الجماعات والتنظيمات مع وسائل الإعلام غير التابعة لها.



لقد أدركت الجماعات والتنظيمات الإرهابية أهمية وخطورة وسائل الإعلام الجماهيرية وقدرتها الفائقة على التأثير في الرأي العام وتوجيهه.

وتستغل الجماعات والتنظيمات الإرهابية الحاجة الماسة لوسائل الإعلام للحصول على المعلومات وتحقيق سبق الإعلام، فتصدر لها أخبارها وتحركاتها بحثاً عن الأضواء وإثارة البلبلة في الشارع وإحداث حالة من الرعب الجماهيري.

وعندما تقوم وسائل الإعلام بتغطية الأحداث والعمليات الإرهابية فإنها توفر للإرهابيين فرصاً ذهبية للذويع والانتشار وتقدم لهم خدمة مجانية قوية ومؤثرة.

ولقد أتقنت الجماعات والتنظيمات الإرهابية فنون التعامل مع وسائل الإعلام حتى في المجتمعات الغربية المعادية لها، إضافةً لوسائل الإعلام في البلدان التي يمارسون نشاطهم داخل أراضيها.

وتعد "التغطية الإعلامية" لأنشطة الجماعات والتنظيمات الإرهابية بمثابة اعتراف صريح بوجودها ومشروعية ما تقوم به من أعمال.

كما أن ظهور القيادات الإرهابية وإجراء الحوارات الصحفية والتلفزيونية معهم يحقق لهم الشهرة والانتشار؛ فيستمع الناس ويشاهدون هؤلاء "الإرهابيين" الذين يبذلون جهداً كبيراً في تبرير أفعالهم والإقناع بأفكارهم التي ربما تتوافق مع كثير ممن يتابعون تلك اللقاءات والحوارات؛ فيقتنعون بما يقوله هؤلاء الإرهابيون - لا سيما أنهم كثيراً ما يوظفون الدين لتبرير أفعالهم والإقناع بأفكارهم - كما يستغلون السخط الشعبي على الحكومات في الدول النامية والفقيرة التي لم تستطع أن تحقق آمال شعوبها، وتركتم ضحية للفقر والجهل والمرض، في حين يتمتع قادتهم وزعماءهم بخيرات بلدانهم الفقيرة.

وفي ظل الأحوال المعيشية المتردية التي تعيشها الأغلبية العظمى من شعوب تلك الدول تلقى مقولات هؤلاء الإرهابيين قبولاً ورضاً من جانب قطاع كبير من تلك الشعوب .. فتقوم وسائل الإعلام بقصد أو بغير قصد بإكساب القيادات الإرهابية شعبية مجانية.

ففي عام ١٩٩٧ أجرت شبكة CNN الأميركية أول مقابلة تلفزيونية مع أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة في أول ظهور علني له عبر وسائل إعلام غربية .. ولقد تسابقت وسائل الإعلام الغربية في نقل مقتطفات من هذه المقابلة الحصرية؛ مما أتاح أمام بن لادن فرصة غير مسبوقة لشرح أفكاره وتبرير مواقفه ليشاهدها الملايين عبر قارات العالم المختلفة.

وكان ظهور أبي بكر البغدادي زعيم تنظيم داعش الإرهابي في وسائل الإعلام العربية والعالمية أحد الأساليب الجهنمية التي حققت له حضوراً ولأفكاره مزيداً من الانتشار.



كما حقق الحوثيون شهرة أوسع بظهور قياداتهم على شاشات التلفزيون العربية والعالمية وعلى رأسهم زعيمهم عبد الملك الحوثي .. ولا شك أن هذه الجماعات والتنظيمات الإرهابية تحقق تواجدًا فاعلاً ومؤثرًا في وسائل الإعلام يفوق - في كثير من الأحيان - تواجدهم الحقيقي على أرض الواقع. ومن خلال الظهور المتكرر لقيادات الإرهابيين يكتسب الإرهاب أرضية وشعبية أكبر، وتبدو الأعمال الإرهابية التي يرتكبها الإرهابيون مجرد وسائل مشروعة وردود أفعال طبيعية ومحدودة أمام ما ترتكبه ضدهم القوى والحكومات التي تربوا في كنفها.

ويطلب الإرهابيون من وسائل الإعلام المبالغة والتضخيم في تغطية ما يقومون به من أعمال إرهابية، ذلك أن المبالغة والتضخيم في أعداد الضحايا والمصابين يكسب الإرهابيين مزيدًا من الثقة والصمود، ويمثل إحدى أدوات الحرب النفسية التي يسعون إلي كسبها؛ لأنها تثير الرعب والخوف في نفوس الشعوب؛ مما يدفعها لمزيد من الرفض لسياسات حكوماتها؛ ومن ثم نشر مزيد من الفوضى والانفلات.

كما أن مبالغة الإعلام في تغطية أحداث الإرهاب ربما يدفع الحكومات لاتخاذ المزيد من الإجراءات القمعية ضدهم؛ مما يكسبهم مزيدًا من التعاطف العالمي معهم.

ولعل ما قامت به - ولا تزال - وسائل الإعلام المصرية من بث صور القتلى من الإرهابيين الذين يتم القضاء عليهم في إطار الحرب ضد الإرهاب في سيناء، يكسب هؤلاء الإرهابيين الكثير من التعاطف من جانب المصريين المتضررين من سلوكيات حكوماتهم، كما توظفه الجماعات والتنظيمات الإرهابية لكسب مزيد من التعاطف العالمي معها.

ولقد أكسبت السنوات الطوال التي مارس فيها الإرهاب عملياته العنيفة مهارة متميزة للإرهابيين في تعاملهم مع وسائل الإعلام، وقدرة فائقة على تزويد تلك الوسائل - أحيانًا - بأخبار كاذبة ومغلوبة وشائعات؛ بهدف تضليل الأجهزة الأمنية وضمان نجاتهم من إجراءاتها القمعية أو للسيطرة على الرأي العام.

ومن ثم يرى الإعلاميون أن التغطية الإعلامية لأعمال الإرهاب هي المقياس الحقيقي لمدى نجاح تلك الأعمال، للدرجة التي يعدون الأعمال الإرهابية التي لا ترافقها تغطية إعلامية مكثفة أعمالاً فاشلة!.



ثانياً : الحكومات والتغطية الإعلامية للإرهاب:

ظل الصراع بين السلطة والإعلام حاضراً في كل العصور وفي مختلف المجتمعات، ويزداد هذا الصراع في أوقات الحروب والأزمات؛ ففي هذه الأوقات تسعى السلطة دائماً لتجسيم دور وسائل الإعلام قدر استطاعتها وتحاول فرض رؤاها على تلك الوسائل وتوظيفها لتكون صوتاً وبقاً دعائياً لها، في حين يسعى الإعلام لأن يكون مستقلاً وخارجاً عن عباءة السلطة.

وتمثل مكافحة الإرهاب حالة من حالات الحروب والأزمات؛ ومن ثم فإن حكومات الدول العربية والنامية - التي تحارب الإرهاب- تسعى لفرض سلطتها على وسائل الإعلام أو طلب تعاونها لمحاصرة الإرهاب وتقويض أركانه؛ فالإعلام هو العامل الحاسم في أي استراتيجية تضعها الحكومات المختلفة لمكافحة الإرهاب.

ويأتي الصراع بين الحكومات ووسائل الإعلام من خلال حرص وسائل الإعلام على تحقيق سبق الإعلام والافراد بتغطيات حصرية لكل الأحداث المثيرة والشيقة ومن بينها العمليات الإرهابية، وحرص الحكومات على تنفيذ خططها لمكافحة الإرهاب بخطط واستراتيجيات سرية لا تود إطلاع الإعلام عليها، كما أن الحكومات - في أوقات الأزمات - تكون حريصة على عدم السماح لوسائل الإعلام بالتغطية الحرة والمباشرة لأحداث العنف والإرهاب، وخاصة تلك المرتبطة بمصادمات عنيفة بين الإرهابيين ورجال الأمن.

وإذا سمحت السلطات لوسائل الإعلام بالتواجد في مواقع الأحداث فهي تحرص على أن تنقل تلك الوسائل تغطيتها للأحداث من وجهة نظر الحكومات والسلطات الرسمية؛ وهذا أمر يصعب تحقيقه، ففي ظل المنافسة الشرسة بين وسائل الإعلام مختلفة أنماط الملكية والتوجهات السياسية، لم تعد الحكومات في المجتمعات الديكتاتورية قادرة على أن تجد إعلاماً مستأنساً يحقق أهدافها ويدافع عن مواقفها حتى في حربها المشروعة ضد الإرهاب.

فليس هناك إعلام واحد، بل هناك إعلام متنوع التوجهات مختلف الرؤى، بعض وسائله صادق في حربه ضد الإرهاب، وبعضه الآخر متعاطف وداعم للجماعات والتنظيمات الإرهابية.

لقد نجح الإرهاب في اختراق معظم المؤسسات الرسمية في الدول العربية والنامية، والنفوذ إلى متخذي القرار الإعلامي أحياناً، وتمثل تلك القوى الإرهابية النائمة في وسائل الإعلام الرسمية والخاصة مصدر قلق حقيقي في الحرب التي تخوضها الحكومات العربية ضد الإرهاب.



ومن هنا فإن توقعات الحكومات العربية بأن تكون وسائل الإعلام بمختلف توجهاتها أسلحة في أيديها لمكافحة الإرهاب، وأدوات لحفظ الأمن القومي للبلاد لازال أمرًا مشكوكًا فيه، ذلك أن "مكافحة الإرهاب" لا تزال قضية مختلفًا عليها، كما أن مفهوم "الأمن القومي" يبدو - في كثير من الأحيان - كلمة حق يراد بها باطل!.

ثالثًا : الجمهور والتغطية الإعلامية للإرهاب:

إذا أردنا أن نعرف جمهور وسائل الإعلام تعريفًا دقيقًا قد لا نجد اتفاقًا محددًا حول أي من التعريفات، ذلك أن "الجمهور" هو - في الأصل - جماعة تنشأ استجابة لنشاط إعلامي محدد تقوم به وسائل الإعلام، والجمهور - قبل ذلك - هو جماعة بشرية تكونت نتيجة لقوى اجتماعية مستقلة لا دخل لها بالأنشطة الإعلامية.

وطالما ثار الجدل حول العلاقة بين "المعروض الإعلامي" و "المطلوب الإعلامي" .. وأيهما أكثر تأثيرًا في الآخر هل ما تعرضه وسائل الإعلام يحدد وينمط أذواق الجمهور المتلقي ومن ثم يحدد مطالبه فيما بعد ؟ أم أن أذواق ومطالب الجمهور هي التي تفرض على وسائل الإعلام المضمون الذي تقدمه؟.

ووفقًا للعديد من الدراسات؛ فإن الناس يستخدمون وسائل الإعلام التي تخدم احتياجاتهم وتلبي مطالبهم، ولكن وسائل الإعلام تؤثر - فقط - فيمن يستخدمها، فالطريقة التي تستخدم بها وسائل الإعلام - وليست هذه الوسائل في حد ذاتها - هي التي تؤثر في الناس.

ولقد أثبتت العديد من الدراسات أن متابعة الجمهور لوسائل الإعلام تتزايد في أوقات الحروب والأزمات؛ فتلك الوسائل تعد هي الوحيدة المتاحة أمام الجمهور للتعرف على الأخبار والمعلومات التي تقدم له الحقائق وتشرح له الظروف المحيطة والملابسات المتعلقة بها.

ومن هنا تتزايد معدلات قراءة الصحف ومشاهدة التلفزيون مع تزايد أعمال الإرهاب سعيًا لمعرفة الأحداث علي حقيقتها.

ويتوقع المواطنون من وسائل الإعلام أن تكون وسائل "موضوعية" وهي تغطي العمليات الإرهابية، والواقع أنه لا موضوعية خالصة في الإعلام، ذلك أن "الذاتية" تعكس نفسها على الأخبار والمعلومات التي تنقلها وسائل الإعلام عن الأحداث .. فنحن لا نرى الأحداث ولكن نرى ما قالت عنه وسائل الإعلام إنها "الأحداث"!!.



وكما تغيب الموضوعية بدرجة أو بأخرى عند تغطية وسائل الإعلام لقضايا الإرهاب، فإنها تغيب أيضاً من جانب الجمهور وهو يتلقى تلك التغطية؛ فالأفراد ليسوا سواءً في مواقفهم من الإرهاب ولا في مواقفهم من الحكومات والسلطات التي تحارب الإرهاب!!.

ومن هنا فإن نجاح الاستراتيجيات الإعلامية لمكافحة الإرهاب مرهون - إلي حد بعيد - بمدى ثقة الجمهور وقناعاته بما تقدمه وسائل الإعلام من تغطيات للأعمال الإرهابية، كما أن وسائل الإعلام ربما لا تملك قدرات كبيرة في تغيير أو تعديل اتجاهات الجمهور نحو القضايا التي تمس عقائدهم وأيديولوجياتهم بشكل مباشر.

رابعاً : وسائل الإعلام والتغطية الإعلامية للإرهاب:

يمكن القول إن "الأحداث الإرهابية" صفقة تسعى كل وسائل الإعلام للفوز بها في إطار منافسة شرسة فرضتها الزيادة المفرطة في أعداد وسائل الإعلام وتنافسها على جذب مزيد من الجمهور لتحقيق المزيد من الإعلانات ومن ثم الأرباح.

ولقد أثبتت العديد من الدراسات أنه في ظل المنافسة الشديدة بين وسائل الإعلام فإن معظمها يُغلب معيار "السبق" علي معايير الدقة والموضوعية عند اختيار القصص الإخبارية التي تتم تغطيتها. وإذا نظرنا لواقع وسائل الإعلام في مجتمعاتنا العربية نجد أنها ثلاثة أنماط؛ أولها وسائل إعلام رسمية تملكها وتسيطر عليها الحكومات، وهي في الغالب ضعيفة المستوى متواضعة الإمكانيات ولا تحظى بثقة المواطنين ولا تتمتع بالمصداقية؛ ومن ثم ينصرف الجمهور عنها ولا يعيرها إلا القليل من الاهتمام.

والثانية وسائل الإعلام الحزبية، وهي ليست أفضل حالاً من مثيلاتها الرسمية، وهي - عادة - لا تحظى بالشعبية وال جماهيرية تماماً كما هو حال الأحزاب السياسية التي تعبر عنها؛ ومن ثم ينصرف الناس عنها ولا يعتبرونها مصادر موثوقة للأخبار والمعلومات.

أما النوع الثالث فهو وسائل الإعلام الخاصة، والتي ربما تحظى بدرجة أكبر من الجماهيرية، وتمتلك إمكانيات فنية وبشرية أكثر تميزاً، وتتمتع بدرجة أكبر من الحرية قياساً بوسائل الإعلام الرسمية والحزبية.

وتعد وسائل الإعلام الخاصة الأنسب لتحقيق طموحات الدول والحكومات لتنفيذ خططها لمكافحة الإرهاب، إلا أن طبيعة عمل هذه الوسائل، وطبيعة الأهداف التي أنشئت من أجلها والتي يأتي تحقيق الأرباح في مقدمتها تحول دون إمكانية توظيفها كأدوات فاعلة لمكافحة الإرهاب، ذلك أن بعضاً من هذه



الوسائل الخاصة يعتمد بشكل أساسي على الإثارة والتشويق فيما تقدمه من موضوعات، كما أن بعضاً منها يتخذ من الحكومات والسلطات الرسمية خصماً لا يمكنها التعاون معه حتى في حربها المشروعة ضد الإرهاب!!.

ومن هنا تواجه الدول والحكومات العربية مأزقاً بالغ الخطورة حين لا تجد منابر إعلامية قوية ومؤثرة في حربها ضد الإرهاب؛ فوسائل الإعلام العربية -علي اختلاف توجهاتها وأنماط ملكيتها- تعتبر المنظمات الإرهابية مصدرًا هاماً من مصادر الحصول على الأخبار والمعلومات الساخنة التي تضمن تغطيتها لتلك الوسائل سبقاً وتفوقاً في حربها الشرسة ضد منافسيها بين الوسائل الإعلامية الأخرى. وفي سعيها الدؤوب لتحقيق سبق والتفوق؛ تقع وسائل الإعلام العربية -أحياناً كثيرة بقصد وأحياناً قليلة بغير قصد في أخطاء تمنح الإرهابيين ومنظماتهم فرصاً ذهبية لعرض أفكارهم ورؤاهم، وكسب المؤيدين والمتعاطفين معهم.

ولقد دفع ذلك العديد من الباحثين إلى اتهام وسائل الإعلام بالتعاطف مع الإرهابيين ودعم أنشطتهم بوصفها منابر تنجح الجماعات والتنظيمات الإرهابية في النفاذ إليها واستغلالها لتحقيق أهدافها. ويمكننا أن نحدد أهم نقاط النقد التي توجه لوسائل الإعلام في إطار تغطيتها الإعلامية للأنشطة والأعمال الإرهابية فيما يلي:

١- تؤدي المبالغة والتهويل في تغطية العمليات الإرهابية والتركيز على إبراز الآثار السلبية الناجمة عنها، إلى تأكيد قوة الجماعات والتنظيمات الإرهابية على أرض الواقع، وقدرتها على مواجهة كافة الإجراءات الأمنية التي تقوم بها الحكومات.

٢- يدفع سعي وسائل الإعلام إلى التواصل مع القيادات الإرهابية، وإجراء مقابلات صحفية وتلفزيونية معها - في كثير من الأحيان - إلى كسب المزيد من التأييد والشعبية حين تتاح لهم فرص عرض أفكارهم وتبرير مواقفهم؛ مما يمنحهم مزيداً من الشرعية والقبول. وقد أثبتت العديد من التحقيقات التي أجريت مع بعض مرتكبي الأعمال الإرهابية في العراق أنهم تأثروا كثيراً بما كانت تعرضه قناة الجزيرة من مقابلات مع قيادات المنظمات الإرهابية، وقرروا الانضمام إليها والعمل داخل صفوفها.

كما أن نجاح قيادات تنظيم داعش في عرض أفكارهم عبر وسائل الإعلام الغربية دفع العديد من الشباب الغربي للانخراط في هذا التنظيم والتطوع في صفوف المقاتلين في كل من العراق وسوريا.



٣- يؤدي حرص وسائل الإعلام على عرض المناظر البشعة والمثيرة لضحايا الإرهاب من قتل وقطع للرؤوس على شاشات التلفزيون ومواقع الإنترنت إلى فقدان "التعاطف الشعبي" الذي كانت تسعى وسائل الإعلام إلى تحقيقه، ذلك أن تكرار مثل هذه المناظر يجعل المواطنين يعتادون عليها وتصبح بالتدرج غير ذات تأثير.

كما أشار بعض علماء النفس والاجتماع إلى أن تعرض الصغار والناشئة لمثل هذه اللقطات والصور بشكل مستمر ربما يؤدي إلى تقليدها في حياتهم العادية.

٤- تلجأ معظم وسائل الإعلام للطابع الإخباري عند تغطيتها لأحداث الإرهاب على حساب التغطية ذات الطابع التحليلي والتفسيري؛ مما يؤدي إلى السطحية الشديدة في فهم الظاهرة الإرهابية وسبل التعامل معها ومكافحتها.

٥- يلمس المتابع للعديد من وسائل الإعلام العربية ضعفاً شديداً من جانب الكوادر الإعلامية التي تتصدى لمناقشة قضايا الإرهاب وتغطية الأعمال الإرهابية، فالغالبية العظمى منهم تفتقد الحد الأدنى من الثقافة والرؤية الشاملة لقضايا الإرهاب؛ مما يسفر عن تغطية سطحية ساذجة تمنح الإرهابيين تعاطفاً شعبياً أكبر حين يظهرون بمظهر الضحية لأنظمة الحكم التي تطاردهم وتسعى إلى قتلهم وتشريدهم.

٦- تقوم وسائل الإعلام - في بعض الأحيان وفي إطار تحقيق السبق الإخباري - إلى المتابعة الدقيقة لكل الخطط الأمنية لملاحقة الإرهابيين، وذلك من خلال تقارير إخبارية ولقاءات مع القيادات الأمنية التي يتبارى بعضهم في الحديث عن جهود الأجهزة الأمنية لمتابعة الإرهابيين؛ مما يؤدي - في بعض الأحيان - إلى تزويد الإرهابيين بمعلومات يمكن أن تساعدهم في تضليل قوات الأمن والإفلات بجرائمهم.

٧- أنه بصرف النظر عن التغطية الإعلامية لقضايا العنف والإرهاب؛ فإن وسائل الإعلام العربية متهمه بأنها توفر مناخاً حاضناً للإرهاب بما تقدمه من أفكار متطرفة وفتاوى فاسدة تحض على العنف ورفض الآخر، وفي الوقت نفسه؛ تقوم بهجوم مباشر على المعتقدات والرموز الدينية وازدراءها والسخرية منها.

والمتابع للعديد من القنوات المصرية الخاصة في الآونة الأخيرة يلمس خطأً ممنهجة للنيل من الأزهر الشريف وعلمائه، والسخرية من علماء المسلمين والتشكيك في كل الثوابت كالهجوم على كتاب البخاري، والتقليل من شأن أئمة المذاهب الأربعة وكبار التابعين.



كما أدى ظهور القنوات الدينية المذهبية إلى مزيد من الصراعات الفقهية والطائفية ونشر الشبهات؛ مما انعكس بالسلب على الفهم الصحيح للدين، وعمق الخلافات بين المسلمين، وأذاع فكر التكفير والتفسيق بين الفرق والمذاهب المختلفة.

ولقد وجد الفكر التكفيري ضالته في بعض القنوات الدينية التي راحت تزكي روح الفرقة والانقسام بين أبناء الأمة الإسلامية، وتنفث روح العداة والبغضاء بينهم من خلال نظرة مذهبية ضيقة وخطاب إعلامي مغرق في التعصب والغلو.

رؤية لدور الإعلام في مكافحة الإرهاب:

رغم سيل الاتهامات التي طالما وجهت لوسائل الإعلام بوصفها عناصر ضالعة في دعم الإرهابيين ومساعدتهم في نشر أفكارهم، والمبالغة إلى حد القول إن "الإرهاب" هو في الأساس عمل إجرامي يدعمه ويجمله "إعلام" أكثر إجراماً، فإن "الإعلام" يظل عنصراً حاضراً في أي خطة أو استراتيجية لمكافحة الإرهاب.

ولقد كان "الإعلام" ودوره في مكافحة الإرهاب موضوعاً مطروحاً على طاولة المناقشات في جميع المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية التي سعت لمناقشة قضايا الإرهاب.

واهتمت المنظمات والدول العربية منذ زمن بعيد بالدور المحوري الذي يمكن أن يقوم به الإعلام في مكافحة الإرهاب؛ ففي ديسمبر ١٩٩٣ ناقشت اللجنة الدائمة للإعلام العربي تقريراً مهماً بعنوان "دور الإعلام العربي إزاء ظاهرة التطرف والإرهاب".

كما ناقش مجلس وزراء الإعلام العرب في دورته السادسة والعشرين والمنعقدة بالقاهرة عام ١٩٩٣ قضية الإرهاب، وقرر وضع آليات لمواجهة الإرهاب.

وفي دورته السابعة والعشرين عام ١٩٩٤ أوصى مجلس وزراء الإعلام العرب بضرورة وضع آليات للتعاون العربي الإعلامي في سبيل القضاء على ظاهرة الإرهاب، وناقش المجلس في دورته الثامنة والعشرين عام ١٩٩٥ اقتراحاً تقدمت به الجزائر بعنوان "قواعد سلوك للدول الأعضاء لمكافحة الإرهاب".

كما كان موضوع "دور الإعلام في مكافحة الإرهاب" مجالاً خصباً للنقاش في مختلف المؤتمرات التي عقدت بالدول العربية والإسلامية.

وعلى كثرة ما وضع من مشروعات وما اقترح من آليات؛ فقد أجمعت كلها على ضرورة تنفيذ جملة من الآليات، نجلها فيما يلي:



- توعية الرأي العام داخل الوطن العربي وخارجه بمخاطر الإرهاب، وذلك من خلال تغطيتها إعلاميًا على أوسع نطاق.
- تبصير الرأي العام العربي من خلال مختلف وسائل الإعلام بمسئولية الأسرة في حماية الأجيال الناشئة من السقوط في براثن الإرهاب.
- ضرورة السعي لوضع خطط ناجعة للتتوير الديني من خلال حرص وسائل الإعلام على تقديم الصورة السمحة للدين الوسطي بعيدًا عن روح التعصب والإقصاء.
- تكثيف البرامج والموضوعات الإعلامية التي تبرز خطورة الإرهاب على الاقتصاد العربي.
- ضرورة التزام وسائل الإعلام العربية بالموضوعية والدقة وعدم الخلط بين الإرهاب والنضال المشروع للشعوب المقهورة.
- التزام وسائل الإعلام بعدم نشر الأخبار التي تشجع على الإرهاب وتزيد من رصيده لدى الشارع.
- تنمية الحس الوطني والأمني للمواطنين العرب من خلال برامج تحثهم على المشاركة في جهود مكافحة الإرهاب.
- التقليل من المشاهد الدموية ومشاهد العنف والدمار والقتل التي تنتج عن العمليات الإرهابية.
- توسيع مساحات التغطية الإعلامية لتشجيع ودعم المشاركات الشعبية والمبادرات التطوعية للتصدي لظاهرة الإرهاب.
- ضرورة اهتمام وسائل الإعلام الوطنية بالوقوف دون وصول الإرهابيين إليها واتخاذها منابر لعرض أفكارهم.
- ضرورة التزام وسائل الإعلام بالمناقشة الواعية والدقيقة والجريئة لمفاهيم الجماعات الإرهابية وجماعات العنف السياسي وتفنيدها والرد عليها.
- مشاركة وسائل الإعلام العربية في جهود تكوين لوبي عربي إسلامي في الدول الغربية ودعم الجاليات الإسلامية للقيام بدورها في التعريف بصحيح الدين.
- إفساح المجال أمام الأئمة والدعاة المعتدلين لتقديم صورة صحيحة للإسلام بدلاً من أولئك الذين يثيرون الفتنة والكرهية والتعصب.
- دعم جهود المؤسسات الأمنية الرسمية في التصدي للعمليات الإرهابية وتقويضها.



- التركيز في الرسائل الإعلامية الموجهة للغرب علي التمييز بين حرية الرأي والإبداع والتي يجب احترامها والانحياز لها والدفاع عنها، ومسئولية الإعلام الغربي في ضرورة احترام عقائد وأديان الآخرين، وعدم الربط بين الإرهاب والإسلام.
- توخي الحيطة والحذر عند تلقي رسائل أو بيانات من قبل الجماعات والمنظمات الإرهابية مما يسهم في نشر الشائعات.
- الحرص على عدم تقديم أية معلومات من شأنها تبصير الإرهابيين بجهود المؤسسات الأمنية لملاحظتهم.
- الحرص على أن تكون وسائل الإعلام العربية أدوات نافذة لحفظ الأمن والسلام داخل الوطن العربي ومقاومة محاولات التقسيم والفرقة.
- إن الأخطار الجسيمة التي تنتج عن العمليات الإرهابية والتي طالت كل مجتمعاتنا العربية، وأساعت لصورتنا وصورة الإسلام في مختلف أنحاء العالم، تدفعنا إلى ضرورة التوصية بوضع استراتيجية إعلامية عربية موحدة لمكافحة الإرهاب، توفر لها الإمكانيات البشرية والفنية الكافية، بما يضمن حضوراً فاعلاً "للإعلام" في الحرب الشرسة التي تخطط لشنها كل دول العالم وشعوبه أمام خطر يهدد البشرية جمعاً متستراً بستار الدين، والدين منه براء.

مراجع الدراسة:

- أحمد إبراهيم محمود: الإرهاب الجديد، الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد (١٤٧)، يناير ٢٠٠٢.
- أحمد أبو الروس: الإرهاب والتطرف والعنف الدولي (الأسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١).
- أحمد جلال عز الدين: الإرهاب والعنف السياسي (القاهرة: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٦).
- أحمد فارس عبد المنعم: ظاهرة الإرهاب في الوطن العربي، كراسات استراتيجية خليجية، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، لندن، العدد (٩)، ١٩٩٨.
- أديب خضور: بين رسوخ الظاهرة ولحظة الحدث المواجهة بين الإعلام العربي والإرهاب (الرياض: مركز أسبار للدراسات والبحوث الإعلامية، ٢٠٠٧).
- أمل اليازجي ومحمد عزيز شكري: الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠).
- جيهان يسري: اتجاهات الإعلاميين نحو تغطية الإعلام المصري لأحداث الإرهاب، بحث مقدم للمؤتمر العالمي السنوي الثامن "الإعلام وصورة العرب والمسلمين" كلية الإعلام - جامعة القاهرة، الجزء الثاني، مايو ٢٠٠٢.
- حسن حنفي: الإرهاب المزدوج، مجلة الديموقراطية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد (٧)، ٢٠٠٧.
- حسين عبد الحميد رشوان: الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع (الأسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٢).
- سامي الشريف: الثقافة والإعلام في العالم الإسلامي الواقع والتحديات، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الثاني "العالم الإسلامي.. المشكلات والحلول" رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، مارس ٢٠١٤.
- سعيد اللاوندي: دولارات الإرهاب، شبكات تمويل الإرهاب في العالم (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠).



- طه فريج صالح: مفهوم الإرهاب بين القرآن الكريم والفكر الغربي المعاصر (العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٠).
- عبدالله عبدالعزيز يوسف: التقنية والجرائم المستخدمة، ورقة عمل مقدمة لندوة الظواهر الإجرامية المستحدثة وسبل مواجهتها، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤-١٦/٥/٢٠٠٩.
- عبدالمحسن بدوي محمد: برامج الإعلام في تنمية الوعي الأمني ومكافحة الإرهاب.. المعوقات والتحديات، ورقة مقدمة لمؤتمر مكافحة الإرهاب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ٢٠٠٩.
- محمد مورو: الحرب الأميركية على الإسلام من العراق إلى الصومال (المنصورة: دار الإيمان، ٢٠٠٧).
- مصطفى موسى: أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية ماهيتها ومكافحتها (المحلة الكبرى: دار الكتب القانونية، ٢٠٠٥).
- هشام مبارك: الإرهابيون قادمون، دراسة مقارنة بين موقف الإخوان المسلمين وجماعات الجهاد من قضايا العنف (١٩٣٨-١٩٩٤) (القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، ١٩٩٨).
- Bendle, Mervyn F. "The Theory of Existential Terrorism." Paper given at the ١٧th annual ANZSOC Conference, Sydney, Australia, October ١-٣, ٢٠٠٣.
- Giffard, Anthony C. and Nancy K. Rivenburgh. "News Agencies, National Images, and Global Media Events." Journalism & Mass Communication Quarterly ٧٧ (spring ٢٠٠٠): ٨-٢١.
- Kiely, Ray and Philip Marfleet. Globalization and the Third World. London: Routledge, ١٩٩٨.
- Seib, Philip and Dana M. Janbek. Global Terrorism and New Media: The Post-Al Qaeda Generation. London: Routledge, ٢٠١١.
-